﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [العنكبوت: 31]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

دعـاءُ المرسلين في مظنّةِ إهلاك الظّالمين

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقةُ دعاءَ لوطٍ ﷺ على قومه بقوله: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت: 30]، ناسبَ أن تَذكر الآيةُ اللّاحقةُ استجابةَ اللّه تعالى دعاءَه وأمْرَ ملائكته بإهلاك قومِه، فهو انتقالٌ من ذكرِ الأسباب إلى ذكر مُسبّباتها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: (بشر) أصلٌ يدل على ظهورِ الشّيء مع حُسنٍ وجمالٍ، فالبَشَرة: ظاهرُ جِلد الإنسان، ومنه باشَرَ الرّجلُ المرأةَ؛ وذلك إفضاؤه ببَشَرته إلى بشَرتِها، وسُمّي البَشَر بَشَرًا؛ لظهورِهم، والبشيرُ: الحسنُ الوجهِ، والبَشارة: الجمالُ، والبُشرى: اسمٌ بمعنى الخبر المُفرِح، وزنه (فُعْلى) بضمٍّ فسكونٍ، وهي اسْمٌ لِلْبِشارَةِ وهي الإخْبارُ بِما فيهِ مَسَرَّةٌ لِلْمُخْبَرِ، والمرادُ بالبُشرى في الآية: تبشيرُ إبراهيمَ ﷺ بولادةِ إسحاقَ، وولادةِ يعقوبَ من بعده، فبشّروه بميلاد الابنِ والحفيدِ[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اقـترانُ تبشيرِ المؤمنين بإهلاكِ الظّالمين

تُبيِّن الآيةُ الكريمةُ ما حدثَ حين جاء الملائكةُ إلى إبراهيمَ ﷺ؛ ليبشّروه بالولد وهو إسحقُ، وبولد الولد وهو يعقوبُ ﷺ، ﴿قَالُوٓاْ﴾ لإبراهيم: إنّا مرسَلون من ربّك لإهلاك أهلِ هذه القرية، وهي قريةُ سَدوم التي يسكنُها قومُ لوطٍ، والسّببُ في ذلك: أنّ أهلها كانوا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بشر)، والقنّوجي، فتح البيان: 10/ 188، وصافي، الجدول: 1/ 215.

ظالمين، حيث أتوْا بفاحشةٍ لم يسبقْهم إليها أحدٌ، وقطعوا الطّريقَ على النّاس، واقترفوا في مجالسِهم المُنكراتِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

موقعُ الجملةِ ممّا قبلَها:

الاستنصارُ بالدّعاء من هَدْيِ الأنبياءِ

عُطفت جملةُ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ﴾ على محذوفٍ يقتضيه السّياقُ، أي: فاستجاب الله دعاءَ لوطٍ ﷺ، وأرسل ملائكةً لإبراهيمَ ﷺ، بالبشرى له بالذّريّة، وبإهلاك قومِ لوط، فكأنّه قيل: استجاب الله لِلوطٍ ﷺ، فأرسل رُسلًا لإبراهيم، وكان من شأنهم كذا وكذا وقتَ مجيئِهم إليه.

نكتةُ العطفِ بالواو:

عند امتناعِ ترتُّبِ الأحداثِ يُعطفُ بالواو

جاء العطف بالواو: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ﴾ دون الفاء؛ لأنّ مجيئَهم بالبشرى المختصَّةِ بإبراهيم ﷺ مُنفكٌّ عن دعوة لوطٍ: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي﴾ [العنكبوت: 30]؛ فليس داخلًا في الاستجابة ولا جُزءًا منها، فالاستجابةُ للوطٍ ﷺ بإهلاك الظّالمين، هي المُدمَجَةُ ضِمْنَ كلامهم مع إبراهيمَ ﷺ بالبشرى، فلمّا امتنع التّرتُّبُ لم يعطِف بالفاء[2].

فائدةُ استعمالِ أداة (لمّا):

خيرُ المواقيتِ ساعةُ البُشرى

صُدِّرت جملةُ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ﴾ بأداة (لمّا) الحينيّةِ الشّرطيّةِ غيرِ الجازمة، وهي تَستدعي فعلَين ماضيَين، الأوّلُ فعلُ الشّرط والثّاني جوابُ الشّرط، وتفيدُ الظّرفيّةَ الزّمانيّةَ، ومعنَى شرطيّتِها موجَب: فهي أداةُ وجودٍ لوجود، أي: وجودُ الجواب لوجود الشّرط، فهي تفيدُ تَحقّقَ الجواب بتحقيق الشّرط، ومعنَى التّحقّقِ ظاهرٌ في مجيء فعلَي الشّرط وجوابِه ماضيَين، وهي ظرفيّةٌ بمعنى (حين)، فحين وقعَ الشرطُ حصلَ الجوابُ، فحينُهما واحدٌ، ولذا جاءا ماضيَين[3].

(1) القنّوجي، فتح البيان: 10/ 188، وطنطاوي، الوسيط: 11/ 33.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 429، ودرويش، إعراب القرآن: 7/ 427.
(3) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن: 2/ 627.

نكتةُ انتقاءِ أسلوبِ الشّرط:

ما يـأتي قـضـدًا يختلفُ عمّا يأتي دمْجًا

جاء التّركيبُ على أسلوب الشّرطِ، ولم يجئْ بالخبر المحْضِ، فلم يقل كما قال في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [هود: 69]؛ وذلك أنّه في سورة هود افتتاحٌ لقصّةِ إبراهيمَ، وتفصيلٌ لِبُشراه، وهنا إجمالٌ عنه مدمَجٌ ضمْنَ قصّةِ لوطٍ ﷺ، وهو واردٌ على أسلوب الشّرط؛ لأنّه تعيينٌ لتوقيتِ إهلاك قومِ لوطٍ بتعليقه على حينِ مجيئهم لإبراهيمَ بالبشرى.

نكتةُ إلحاقِ تاءِ التّأنيث بالفعل:

أُنّث الفعلُ في قوله تعالى: ﴿جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ مراعاةً للمعنى، فلفظُ الرّسل مذكّرٌ، ومعناه الملائكةُ، فجاء الفعل بالتّأنيث تنبيهًا على لفظ الملائكةِ، وهذا من جوامع الاستعمالِ وتمامِه[1].

فائدةُ اختيارِ لفظِ الرّسل دون الملائكة:

عـنـوانُ الوظيفةِ مقدّمٌ إذا ارتبطَ ببيان الغايةِ

اختار النّظمُ الكريم مُفردةَ الرّسل دون الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ وذلك لإفادةِ أنَّ الملائكة يكونون رُسلًا في العذاب والإهلاك كما أنَّهم رُسلٌ في الرّحمة والتّبشير، وأنَّ ما جاؤوا به هو أمرُ الله تعالى، فهم مجرّدُ رُسلٍ، فإيثارُ وصفِ الرّسالة دون اسمِهم المعهودِ (الملائكة) لبيان أنَّ الغاية التي جاؤوا بها هي مقصودُ الإرسالِ[2].

دلالةُ الإضافةِ لنون العظمةِ:

مـجـيءُ رُسـلِ العظيمِ عظيمٌ

أُضيف لفظُ الرّسل إلى نون العظمة؛ للدّلالة على أنّهم مُرسَلون في أمرٍ عظيم، وأنّهم كذلك مُعظَّمون في أنفسِهم، بقوّةِ إضافتِهم إلى ضمير العظيمِ ﷻ.

(1) فاضل السّامرائي، معاني النحو: 2/ 60.
(2) الرّاغب، المفردات: (رسل).

نوعُ الباء ودلالتُها:

بُشرى المؤمنين عـلَّـةُ إرسـالِ الملائكة

الباءُ الدّاخلةُ على لفظ (البشرى) في قوله تعالى: ﴿جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ إمّا على بابها منَ التّعدية وإفادةِ الإلصاق، فالإلصاقُ معنًى لا يُفارق الباءَ، ولا يخفَى أنّ الإلصاقَ مجازيٌّ، أي: جاؤوا مُصاحبين للبشرى أو مُلتبسين بها، والمصاحبةُ والملابسةُ لازمان عن معنَى الإلصاق، ويصحُّ أن تكون الباء سببيّةً، أي: جاؤوا بسببِ البُشرى أو لأجْل البُشرى[1].

معنَى (أل) في لفظ ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾:

الذّريّةُ الصّالحةُ خيرُ ما يُبَشَّرُ به العبدُ

معنَى التّعريف في لفظ ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ للعهد؛ لاقتضاءِ ﴿وَلَمَّا﴾ أنْ يكون ما بعدها أمرًا معلومًا للسّامع، والبُشرى هي ما دلّ عليه قولُه تعالى آنفًا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: 27][2].

نكتةُ التّعبير ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ اسمًا لا فعلًا:

فخامةُ الإيجازِ مُـقـدَّمـةٌ على التّفصيلِ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ دون أن يأتي بها فعلًا فيُقال: (فبشروه) أو (فقالوا إنا نبشرك)؛ لأنّه أراد ذكرَ البشرى باسمِها؛ ليدلَّ على حقيقتها وعيْنِها، وأنّهم إذْ جاؤوه فهم لا يُخبرونه بمجرَّد قولٍ، بل بالبشرى ذاتِها تحقيقًا لها وأنّها لضمانِها كأنّها واقعةٌ حاضرةٌ، ولو عبّر بالقول، فقال: (قالوا إنّا نبشرك) لاقتضى الإتيانَ بالفعليّة دون الاسميّة، واقتضى تعديةَ الفعل إلى مُسمّى البشرى، فيقال: (قالوا إنّا نبشرك بغلام) كما قيل ذلك في مواضعَ أخرى، فعدلَ عنِ الفعل وعن ذِكر المُسمّى، وجمعَهما بإيجازٍ بديعٍ في لفظٍ واحدٍ، في قوله: ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾[3].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/ 224.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 242.
(3) فاضل السّامرائي، معاني الأبنية، ص: 9.

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظِ البُشرى:

تصويرُ المعاني أرسخُ من إرسالِها بلفظِها المعتادِ

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ تشبيهٌ للبشرى وهي أمرٌ معنويٌّ بشيءٍ مادّيٍّ محسوسٍ يُحمَلُ ويُجاءُ به، على سبيل الاستعارة المكنيّة، وفيه استحضارٌ لمشهدِ الملائكةِ وهم يُهرولون نحوَ إبراهيمَ ﷺ مبلِّغين إيّاه ما جاؤوا لأجلِه، وهو أبلغُ من أن يُقال: (ولما بشروا إبراهيم)، لِما فيه منَ التّصوير والتّمثيلِ، وهو أرسخُ في إظهار المعاني، لاسيما وأنَّ أثرَ هذه البشرى ساطعٌ في البشريَّة[1].

مناسبةُ لفظِ الرُّسلِ مع فعلِ القول:

الرّسالةُ قولٌ يُسمعُ وفعلٌ يُرى أثرُه

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بوصف الملائكةِ بكونهم رُسلًا، في قوله تعالى: ﴿رُسُلُنَآ﴾ وهو تعبيرٌ يَتَنادَى بالمناسبةِ مع التّعبير بفعلِ القول في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ﴾ فإنّ مضمونَ القول بلاغٌ، والبلاغ لازمٌ عنِ الإرسال، ولذا وصفَهم بالرّسُل؛ للإشارة إلى كونِه من شؤون الوحيِ الواجبةِ في تبليغِها وإنفاذِها.

نكتةُ العدولِ عن ذكرِ مضمونِ البُشرى إلى الإهلاك:

خُصوصيَّةُ التَّبشير قد تقتضي الإجمالَ إذا اقترنت بعمومِ الإهلاك

عدلَ النّظمُ الكريمُ عن ذكرِ مضمونِ البُشرى الذي بدأت به الآيةُ، إلى ذكرِ لفظِ الإهلاك ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ﴾، فلم يقل: (ولمّا جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنّا نبشّرك بكيت وكيت)؛ وذلك ليدلَّ على أنّ البُشرى مقصودةٌ أصالةً بمجيء الرُّسُل، فأخبرَ عنه باعتبار حدوثِه ووقوعِه، وأنّ الإهلاكَ مقصودٌ تبَعًا، ولذا ساقه تابعا لهم في أمرِ الإرسال، ولأنّ المجيءَ كان لإبراهيم ﷺ، والبُشرى تخصُّه هو، فوجبَ أن يتعلّق بها المجيءُ مباشرةً من غير تصريحٍ بقولٍ، كما يتعلّقُ الفعلُ بغرضِه، فضلًا عن أنّ البُشرى تتضمّنُ معنى القول؛ لأنّها خبرٌ بما يسرُّ، فلا تحتاجُ إلى قولٍ قبْلَها[2].

(1) عبدالعزيز عتيق، علم البيان، ص: 171.
(2) الرّاغب، المفردات: (بشر).

دلالةُ تقديمِ البُشرى على الإهلاك:

قُدِّمتِ البُشرى على الإهلاك في الآية؛ للإشارة إلى أنّ الرّحمةَ تسبِقُ الغضبَ، وأنّ الأصلَ في أعمال الرُّسل: أنْ يُبشّروا ولا يُنفّروا إلّا بحقّه[1].

لطيفةُ الجمعِ بين البُشرى والإهلاك:

قليلُ الذُّريَّةِ المُبشَّر بها خيرٌ من كثيرٍ من المُهلَكين

الجمعُ بين البُشرى والإهلاك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ﴾ كالجمعِ بين الإحياء والإفناءِ، ففيه إشارةٌ إلى استبدالِ المُجرمين بالصّالحين، وإزاحةِ المؤمنين للظّالمين، فكأنّهم حين جاؤوه ببُشرى الغلام، وإهلاكِ قومِ لوط، كان في ذلك إيذانٌ بسُنّةِ الاستبدال، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: 38]، فأزاح قومَ لوطٍ بتوليتِهم، وجعل ذريّتَه الطيّبةَ محلَّهم[2]، مع الإيماء إلى أنَّ قليلَ الذريّة المبشَّر بها خيرٌ من كثرةِ القوم المُهلَكين، فالعبرةُ بطيبِ البَشر لا بكثرة العددِ، وفي جمعِ البُشرى مع الإهلاك شبيهُ الطِّباقِ.

نكتةُ استعمالِ اسم الفاعلِ دون الفعل:

تعريفُ الذّات وبيانُ الحدث وتعيينُ الزّمن من بديعِ الاستعمال

آثر النَّظمُ الكريم التّعبيرَ باسم الفاعل ﴿مُهْلِكُوٓاْ﴾، ولم يقل: (إنّا نهلك أهل هذه القرية) بالفعليّة، وأضافه (للمُهلَكين)؛ زيادةً في تحقيق الوصف وتأكيدِه، باستعمال اسم الفاعلِ الدّالِّ على الحدث والحدوث والذّات، بما لا يدع مجالًا للرّيبة في إمضاء ذلك وإنفاذِه، وفيه إشارة إلى أنّ بناء اسم الفاعل يصحّ الوصفُ به قبل تلبّس الفاعل بالصّفة، فقولُهم: ﴿مُهْلِكُوٓاْ﴾ أي: باعتبار ما سيكون، ولم يكونوا كذلك وقتَ خطابهم لإبراهيمَ عليه السلام.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 51.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 51.

بلاغةُ المجاز العقليّ:

الملائكةُ جُنْدُ الله وعـلى أيديهم تجري سنَّة الله

إسنادُ لفظ الإهلاك إلى الرّسُلِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ﴾ إسنادُ الفعل إلى غير فاعله الحقيقيّ؛ لأنّ فاعلَ الإهلاك حقيقةً هو الله سبحانه، ولكن لمّا كانتِ الملائكةُ هي وسيلةُ الإنفاذ أسندَ وصفَ الفاعليّة إليهم في قوله: ﴿مُهْلِكُوٓاْ﴾[1].

نوعُ الإضافة ودلالتُها:

أمـرُ الله تعالى الموعودُ كالنّافذ فـي إفـادة التّحقيق

أُضيف اسمُ الفاعل لمعموله في قوله تعالى: ﴿مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ﴾ وهي إضافةٌ لفظيّةٌ غيرُ محضة لم تُفد تخصيصًا أو تعريفًا، وقد دلّت على الاستقبال، والتّخفيفُ حاصلٌ بحذف نون الجمع السّالم في: (مهلِكون)[2]، وجوَّز بعضُهم اعتبارَ الإضافة معنويةً محضة؛ لتنزيل ذلك الخبَر منزلةَ الماضي لقصد التّحقيق والمبالغة[3]، وهو غيرُ جارٍ على سَنن النُّحاة، إلّا أنَّه متلائم مع سَنن البيان؛ فإنَّ أمر الله تعالى الموعودَ كالنّافذ.

فائدةُ استعمالِ اسمِ الإشارة للقريب:

سَـوْقُ الإشـارة للإشعار بالذّمّ والإشـارة إلى القُرب

استعمل النّظمُ الكريم اسمَ الإشارة ﴿هَٰذِهِ﴾، فلم يقل: (مهلكو أهلِ القرية) بل أضاف الأهلَ لاسم الإشارة، لا للقرية، وجعل القرية بدلًا منه، فقال: ﴿أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ﴾ بإقحام الإشارة، تحديدًا للمقصود، وزيادةً في التّعيين، ودفعًا لاحتمال أن يَلتبِس السّامعُ أو المخاطَب في تعيينها، والمراد: قرية سَدوم، وهي أكبر قرى قوم لوطٍ وفيها نشأت فاحِشَتُهم[4]، وفي الإشارة باسم الإشارة ﴿هَٰذِهِ﴾ إشارةٌ إلى أنّها كانت قريبة من محلّ إبراهيم عليه السلام[5].

(1) القصّاب، النّكت الدّالة على البيان: 1/ 128.
(2) فاضل السّامرائي، معاني النّحو: 3/ 131.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 359.
(4) درويش، إعراب القرآن: 7/ 428.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 359.

دلالةُ تعليلِ الإهلاك دون البشرى:

لا عِقابَ إلّا عَلى ذَنْبٍ يَقْتَضيهِ العدلُ

سيقتِ البشرى من غير تعليلٍ وقيد، وسيق الإهلاكُ بالتّعليل ببيان ظلم المعذَّبين؛ ليدلّ على أنّ اللّه سبحانه يَمنحُ الرّحمة من غير شرط ولا استحقاقٍ، ولا يُعاقِبُ إلّا بسببٍ وشرطٍ جنَى به العبدُ على نفسِه[1]؛ ففيه إقناعُ العقل.

بلاغةُ فصلِ جملة التّعليل:

شـهـادةُ الـلـه بظـلـم العبيد تـهـديـدٌ وإنـذارٌ ووعيد

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ تعليلٌ للإهلاك الواقعِ على قوم لوطٍ عليه السلام، وقصِد به إيناسُ إبراهيم عليه السلام لقَبول هذا الخبر المحزن، ولأنَّ العدل يقتضي أن لا يكون العقابُ إلّا على ذنب يقتضيه؛ فكان إظهارُ علَّة الإهلاك مع العلم به بيانًا شافيًا لحلم إبراهيم عليه السلام بهم، وفصلتْ لإغناء حرف التّوكيد في الرّبْط عن العاطف، ويصحّ أن يكون التّذييلُ من كلام الملائكة أو من كلام اللّه سبحانه[2].

فائدةُ التّوكيد:

تأكيدُ الصّادق كـلامَـه إلـزامٌ لـلـمُـخـاطَـبَ باعتناق اليقينِ

أكِّد الكلامُ في قوله: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ﴾، وقولِه: ﴿إِنَّ أَهْلَهَا﴾ اعتناءً بشأن الخبر وتحقيقًا لمضمونِه؛ دفعًا لِما قد يتوهّمُه المُخاطَب من إمكانيَّة العفْو، أوِ احتماليّةِ الإرجاء والإمهال، فأخبر بما يُفيد القطعَ واليقين[3].

نكتةُ الإظهار في مقام الإضمار:

بيانُ عللِ أفعالِ الحقِّ برهانٌ على قوّته ودليلٌ على مُكنته

آثر النَّظمُ الكريم إظهارَ لفظ الأهل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾، ومقتضى الظّاهر أن يُقال: (إنّا مهلكو أهل هذه القرية إنّهم كانوا ظالمين) لدلالة ﴿أَهْلِ﴾ عليه، ولكونه أوجزَ وأخصر؛ وذلك لإظهار شناعة ظلمِ أهل هذه القرية،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 51.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 193، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 38، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 242.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 359.

وأنَّ علَّة الإهلاك هم أهلُ القرية؛ تنصيصًا على اتّفاقهم على الفساد، وأنّ الظّلم الذي اتّصفوا به مُطَّرِدٌ فيهم جميعًا، مع ما في إعادة اللّفظ من إجراء الظّلم على ذواتهم وإرادةِ ذِكْرهم بالذمّ والتّقبيح، وفيه إشارةٌ منهم إلى أنّ المراد من أهل القرية مَن نشأ فيها، فلا يتناول لوطًا ﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل: 56]، ويكون قولُ إبراهيم بعده: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ أراد منه التَّنصيصَ على حاله ليطمئنّ قلبُه، لكمال شفقته عليه[1].

علَّةُ مجيءِ جملةِ التَّذييلِ تعليلًا:

تعليلُ الأفعال بيانٌ كاشفٌ لا تسويغٌ راجف

آثر النّظمُ الكريم الإتيانَ بجملة التَّعليل ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾، دون أن يقول: (وهم ظالمون)؛ كما جاء في قصّة نوح ﷺ حيث قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٤﴾ [العنكبوت: 14]، وذلك أنَّ قائل المقولة في هذه الآية هم الملائكةُ، وقد قيلت قبل بدأ الإهلاك، خطابًا لإبراهيم ﷺ، فحسُنَ التَّعليل في جملة الخبر، بينما في قصّة نوح ﷺ فالقائل هو الله تعالى، وقد قيل القول أثناء الإهلاك، فاقتضى أنْ يُشير إلى أنّهم كانوا على ظلمهم حين أخذهم، وعِلمُ ذلك موكولٌ إلى الله، فمرجِع الحكم عليهم وقت إلحاق العذاب عائدٌ إلى الله، ولذا حسُنَ مجيء التّركيب هنا على هذا النّحو[2].

فائدةُ المؤكّدات في جملة الفاصلة:

حشدُ المؤكّداتِ تحقيقٌ لمسمّى الظّلم

تلاقتِ المُؤكِّداتُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ بمؤكِّداتٍ عدّةٍ؛ بتصدير الجملة بحرف التّأكيد ﴿إِنَّ﴾، وبالكون الماضي الواقعِ خبرًا لإنّ، فجملة: ﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ هي الخبر، وبمجيء الوصفِ على صيغة اسم الفاعل ﴿ظَٰلِمِينَ﴾ الواقعِ خبرًا للكون الماضي، وفائدةُ هذه المؤكِّدات هي تحقيقُ نسبة الظلم لأهل

(1) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 359.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 51.

القرية، مع توكيد عراقتهم فيه وتمكّنِهم منه، مع التّنبيه بالكون الماضي إلى إصرارهم على الظّلم فلا يُرجَى منهم أَوْبٌ ولا تَوْب[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفرح والبُشرى:

الفرحُ واقعٌ، والبُشرى متوقَّعَة

البشرى هي سببُ الفرح، وهي خبرٌ بما يُفرِح[2]، وتتعلّق بالاستقبال، والفرح هو الهيئةُ النّفسيّة التي تغمر الشّعور بإحساس السّرور، فالفرح هو الحالةُ الشّعوريّة ذاتُها، وهذه الحالة قد تحصلُ من جهة سماعِ الخبَر بالبُشرى التي تحصل مستقبَلًا، وقد يحصل من جهة مُلابسةِ سبب المسرّة في الحال، أو تحصل من جهة الماضي، باستحضار الذّكريات الحسنةِ، وعليه: فالفرحُ هو انشراحُ الصّدر باللذّة[3]، وقد يقع هذا بسببٍ مضى، أو سببٍ عاجل، أو سببٍ آتٍ كالبشرى، فالبُشرى هي سببٌ خاصّ من أسباب الفرح العامّة، والفرح هو أثرُها ومُسَبَّبٌ عنها، ولذا عبّر بالبشرى في الآية؛ لأنّها خبَرٌ يُجاء بإبلاغه، ولأنّها متوقَّعةٌ، وأمّا الفرح فلا يُجاء به؛ لأنّه ينشأ في الشّعور، فيُجاء بأسبابه، لا به.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 429، والخطيب، التفصيل في الإعراب: 20/ 255.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بشر)، وصافي، الجدول: 1/ 215.
(3) الرّاغب، المفردات: (فرح).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»